كلية : الاداب

القسم او الفرع :التاريخ

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : الاستاذ الدكتور إيمان محمود حمادي العبيدي

اسم المادة باللغة العربية : الحضارة العربية الاسلامية

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Arab Islamic civilization

اسم المحاضرة السابعة باللغة العربية: النظم الادارية

اسم المحاضرة السابعة باللغة الإنكليزية :Administrative systems

محتوى المحاضرة السابعة

النظم الادارية

ولدت بظهور الاسلام الدولة العربية الاسلامية ومع ولادتها بدأت بوادر التنظيم الإداري المبكر للدولة. ولعل معالم هذا التنظيم تجلت في الصحيفة التي وضعها الرسول (ﷺ) بين أهل يثرب اذ رسمت هذه الصحيفة الى جانب امور اخرى اسلوب العمل بين فئات المجتمع في المدينة اذ أوجبت على أفراد الأمية تنظيم العمل فيما بينهم من اجل السهر على الأمن والقضاء على المفسدين. وأصبح للجميع كذلك بمقتضى الصحيفة مرجع واحد في حل خلافاتهم وبذلك أوجد الرسول (ﷺ) السلطة العامة التي لم تكن القبائل تعرفها من قبل تماما.لقد اناب الرسول (ﷺ) في حياته ومنذ السنة التاسعة على وجه التحديد نظرا لنمو الدولة واتساع سلطانها بعض العمال في بعض مدن الحجاز واليمن وكذلك عند بعض القبائل المهمة (ليؤمهم في الصلاة ويجبي الزكاة ويفصل في شؤونهم اليومية)، ويشير ابن سعد الى ان الرسول (ﷺ) خص عماله برواتب معينة فقد اعطى عتاب بن اسيد، نائبه على مكة ٣٠ درهما في الشهر، وقد استند الرسول (ﷺ) في اختيار عماله على الآية القرآنية ﴿ بخ بم به تج تح تخ تم﴾ ولذلك لم يستعمل الرسول (ﷺ) ابا ذر الغفاري قائلا له: (يا أبا ذر انك ضعيف وانها أمانة وانها يوم القيامة خزي وندامة الا من اخذها بحقها وادى الذي عليه فيها) وبرر عمر بن الخطاب عزله لأحد عماله قائلا : (اريد رجلا اقوى من رجل).ولقد استخلف الرسول (ﷺ) سعد بن عبادة سيد الخزرج حين خروجه في السنة الثانية في غزوة الإبواء. فكان اول عامل على المدينة، ثم استخلف الرسول (ﷺ) حين خروجه في غزوة اخرى سعد بن معاذ سيد الأوس وهكذا تعاقب زعيما الرينة على ولاية الأمور في غياب الرسول (ﷺ) وفي السنة الثامنة للهجرة استخلف الرسول (ﷺ) على مكة أبا بكر الصديق.وفي رواية للطبري ان الرسول (ﷺ) بعث امراءه وعماله على الصدقات على كل بلاد الإسلام في عهده وفي المعاهدة التي كتبها الرسول (ﷺ) مع اهل مقنا (وان ليس عليكم امير الا من انفسكم) وهذا الاجراء يعطي لأهل مقنا اليهود حق ابداء الرأي فيمن يولى عليهم.ظهرت الخطوط العامة للإدارة العربية الاسلامية في عهد عمر بن الخطاب الذي يعتبر واضع اسس النظم الإدارية في الدولة، وقد مصّر الخليفة عمر الأمصار ومنها البصرة والكوفة والقسطاط والجابية والمدينة وجواثا.اما كبار الموظفين في العصر الراشدي في الولاية فهم الوالي والعامل والقاضي وكاتب الديوان وهو الذي يشرف على السجلات لاسيما تلك التي تتعلق بأسماء المقاتلة واعطياتهم، ثم صاحب بيت المال وهو الذي يشرف على خزينة الولاية المحلية وكان لكل ولاية مقر حكومي يسمى دار الامارة فيه، عدد من الموظفين المدربين يوثق بهم.

ويمكننا أن نقرر القواعد الادارية التالية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب:

أولا : كان الخليفة عمر يختار الأفضل اداريا وذا الكفاءة في تصريف الأمور كعامل او وال ولهذا يشير ابن الجوزي قائلا : (كان عمر بن الخطاب يستعمل قوما ويدع افضل منهم لبصرهم بالعمل) وكان عمر يفضل الوالي القوي الشخصية ذلك لأن الادارة تحتاج الى الرجل القوي بشخصيته وارادته وعزمه على تنفيذ الأمور. ويشير الطبري الى ان عمر حين عزل شرحبيل عن السواحل قال: (.. اني والله ما عزلت شرحبيل عن سخطه ولكني اردت رجلا اقوى من رجل).

ثانيا : سار عمر بن الخطاب سيرة الرسول (ﷺ) في الأخذ برأي الرعية في تعيين واليهم او عاملهم فحين اعترض قوم من بجيلة على تعيين وال عليهم قائلين لعمر (استعمل علينا رجلا منا) قبل عمر الاعتراض بعد ان اخذ كذلك برأي الوالي المعين ولم يستبد الخليفة برأيه.

ثالثا : ادرك الخليفة ببعد نظره ضرورة أخذ الأعراف الاجتماعية بعين الاعتبار حين تعيين الوالي على أقليم معين ففي رواية للطبري أن عمر كان لا يستعمل رجلا من أهل الوبر على أهل المدر والعكس صحيحا. واهل المدر هم اهل المدن المتحضرون اما اهل الوبر فهم البدو سكان الخيام.

رابعا : واكد عمر بن الخطاب الاختصاص في العمل الإداري وضرورة توزيع الواجبات على من يصلح لها من الأشخاص، ففي رواية تاريخية أن عمر كتب الى سعد بن أبي وقاص بالعراق: (ان شاور طلحة الأسدي وعمرو بن معد يكرب في أمر حربك ولا تولهما من الأمر شيئا فان كل صانع و اعلام بصنعته).

خامسا: ابتكر عمر بن الخطاب منصب (صاحب العمال) وواجبه التفتيش على العمال والتحقيق في الشكاوي التي تأتي ضدهم ... وفي رواية عن الطبري أن عمر ارسل محمد بن مسلمة (صاحب العمال) الى العراق للتحقيق في شكوى ضد سعد بن أبي وقاص امير الجيش بالعراق رغم صعوبة الموقف العسكري واستعداد المسلمين للمعركة الحاسمة مع العجم الساسانيين.

سادسا: كان عمر بن الخطاب يجتمع بوفود الأمصار الاسلامية ويستدعيهم الى المدينة لسماع رايهم في واليهم او اميرهم. وفي رواية تاريخية. (كان الوفد اذا قدموا على عمر سألهم عن اميرهم .. هل يعود مرضاكم؟ هل يعود العبد؟ كيف صنيعه بالضعيف هل يجلس على بابه؟ فان قالوا لخصلة منها لا عزله)

سابعا : كان عمر بن الخطاب يقاسم عماله اذا اقتنع بأن الزيادة في أموالهم كانت اساءة لاستعمال مراكزهم كولاة للدولة . يقول ابن الجوزي: (كان عمر اذا بعث عاملا كتب له: وبعد انقضاء فترة عمله قارن بين السجل، وبين الأموال الشخصية فاذا وجد زيادة قاسمة ورد النصف إلى بيت المال. فالمقاسمة أذن كانت عقوبة تأديبية اذا اقتنع الخليفة بأن لها ما يبررها).

الإدارة في العصر الأموي

كانت الدولة تقسم الى عدد من الولايات الكبيرة التي كان يتبعها اقاليم ادارية صغيرة ففي الجناح الغربي من الدولة كان والي افريقية الذي اتخذ مقره في القيروان وحكم المغرب من ليبيا إلى سواحل المحيط الأطلسي واحيانا الاندلس يعين امراء أقاليم تابعين له في هذه المنطقة الواسعة، اما مصر فكانت في العهد الأموي اقليما مستقلا واحدا يديرها وال باستثناء عهد الخليفة هشام بن عبد الملك حيث كان والي مصر مسؤولا كذلك عن افريقية اما ولاية بلاد الشام فكانت تدار مباشرة من الخليفة، وفي العهد الأموي كانت بلاد الشام مقسمة الى خمسة اجناد وهي: جند فلسطين ،ولعل الذي يدرس تطور الأحداث السياسية في أواخر عهد الدولة الأموية يدرك دون شك أهمية والي العراق الذي كان بدوره مسؤولا عن الاقاليم الشرقية.

الدواوين

ظهرت الدواوين نتيجة الى حاجة المسلمين إلى التنظيم العسكري والمالي وبدأت بطبيعة الحال، بسيطة ومحدودة ثم نمت حسب تطور الظروف، ولعلنا حين ندرس الدواوين فإننا يجب ان نميز بين الدواوين المركزية والدواوين المحلية في الولايات، فالدواوين المركزية (انشأها المسلمون انفسهم وكانت في العاصمة) اما الدواوين المحلية فهي استمرار للدواوين التي سبقتها ولقد ابقاها المسلمون على وضعها الأول في

بداية الامر ولذلك بقيت تستعمل اللغات المحلية غير العربية كالفهلوية في العراق وبلاد فارس واليونانية في الشام والقبطية في مصر حتى تم تعريبها في عهد الخليفة عبد الملك وابنه الوليد.تجمع المصادر التاريخية ان أول تدوين للدواوين في الاسلام حصل على عهد الخليفة عمر بن الخطاب وكان الدافع المباشر لإنشاء الديوان الأول كثرة الأموال الواردة من الفتوحات والحاجة الى تنظيم توزيعها على المقاتلة. لقد كان عمر بن الخطاب يهدف الى ان يجعل من العرب المسلمون امة عسكرية يوجهها للجهاد في سبيل الإسلام ثم اراد ان يخصص للمقاتلة رواتب واعطيات من بيت المال تكفيهم مؤونة العمل واراد كذلك ان يحفظ سجلات بأسماء المحاربين وعوائلهم، وكان الخليفة عمر يميل للسياسة المركزية وهي تهيئة مورد ثابت للدولة فاستحسن نظام الديوان وهذا يدل على شعوره بأهمية وجود المال تحت تصرف الخليفة وانه لا يمكن تنظيم المال هذا الا بانشاء الديوان.وحين جاء الأمويون توزعت الأعمال وتمددت الحاجات فتطورت الدواوين وكثرت لتناسب متطلبات الدولة ومع أن الدواوين لم تستقر الا في العصر العباسي وانها كانت دائما في تطور في العصر الأموي فاننا نستطيع أن نميز الدواوين الأموية الرئيسة الاتية:

1- ديوان الخراج : 2- ديوان الجند:3- ديوان الخاتم : 4- ديوان الرسائل :5- ديوان البريد :6- ديوان النفقات:7 - ديوان الصدقة:

8- ديوان المستغلات:9- ديوان الطراز:.

عملية التعريب الإدارية

أن أهم ما قام به الأمويون من الناحية الإدارية في تعريب ديوان الخراج وكانت الدواوين تحفظ سجلاتها باللغة الفارسية في العراق وباللغة اليونانية في الشام وباللغة القبطية واليونانية في مصر، ولم يستطيع المسلمون بعد عمليات التحرير والفتح الإسلامي أن يغيروا الإدارة بسرعة بل ابقوها على حالها في البدء، على أن توسع خيرة المسلمين بعد استيطانهم في البلاد المفتوحة، وازدياد حاجيات الدولة وسيادة اللغة العربية لغة العرب، الفاتحين المحررين استوجبت هذا التعريب.وكان أول من قام بهذه العملية الخليفة عبد الملك بن مروان في العراق واستمرت عملية التعريب في عهد خليفته وابنه الوليد حيث عربت دواوين مصر ثم تبعها دواوين الاقاليم الشرقية ولاسيما خراسان في ولاية نصر من سيار وكانت عملية التعريب في حقيقتها عملية ترجمة منظمة، حيث نقلت المصطلحات الفارسية واليونانية والقبطية الى اللغة العربية وقد دفع هذا هو أن سكان البلاد المفتوحة من الموالي خاصة الى تعلم العربية، حتى أتقنوها.وهكذا اصبحت اللغة العربية لغة الادارة والثقافة فضلا عن كونها لغة السياسة والدين واصبحت وسيلة ضرورية جدا لكل فرد طموح في المجتمع الإسلامي يرغب في الرقي والتدرج سواء في الإدارة أو في الحياة الفكرية والثقافية والدينية.ومن ملاحظاتنا للنظام الإداري الأموي يمكننا أن نستخلص النقاط الاتية:-

1- كان الأمويون يدققون بعناية في اختيار الوالي الذي يولونه على الاقليم وفي رواية للطبري أن معاوية بن أبي سفيان عزل عبيد الله بن زياد من العراق لأن الأحنف بن قيس الذي كان في وفد العراق الذي قدم على الخليفة لم يثن عليه مما يدل على اهتمام معاوية برأي أهل الاقليم في واليهم.

٢ - كان الوالي على الاقليم يترك لأهل كل بلد أو مدينة أن يختاروا لأنفسهم من يريدون يكون عاملا عليهم. ففي رواية تاريخية أن يزيد بن عبد الملك ولى عمر بن هبيرة العراق وخراسان، فولى هذا الأخير مسلم ابن سعيد خراسان ونصحه قائلا: (ليكن حاجبك من صالح مواليك فانه

لسانك والمعبر عنك وحث صاحب شرطتك على الأمانة وعليك بعمال العذر قال: وما عمال العذر؟، قال: من اهل كل بلد أن يختاروا لأنفسهم فاذا اختاروا رجلا فوله...)

3- كان الخليفة الأموي يبعد اهل الرشوة والخيانة عن الادارة فحين تول هشام بن عبد الملك الخلافة دخل عليه ذويد الكاتب. وكان الخليفة هشام يعرف ذويدا قبل الخلافة ويعرف أن له سوابق في التحايل وتزييف السجلات او التلاعب بها. ولهذا بادره الخليفة بالقول: (لا والله لا تلي لي ولاية أبدا)، ولم يكتف بذلك بل نفاه من بلاد الشام.

4- كان الخليفة الأموي يراقب عماله ولا يسمح لهم بقبول الهدايا ويعزلهم إذا تيقن وقوعها وعد بعضهم الهدية رشوة ففي رواية تاريخية: أن عبد الملك ابن مروان قال لاحد كتابه بعد أن ثبت لديه قبوله الهدية: (والله ان كنت قبلت هدية لا تنوي مكافأة المهدي لها انك لئيم دنيء وان كنت قبلتها تستكفي رجلا لم تكن تستكفيه لولاها انك لخائن..).

5- ومن المظاهر الجديدة في العهد الأموي الزيادة في مظاهر الابهة والفخامة في موكب الامير او الوالي، ويبدو أن معاوية بن ابي سفيان اول من بدأ بها ولذلك قال له عمر بن الخطاب (ﷺ): (اكسروية يا معاوية؟) وقد حذا غيره من الولاة في العصر الأموي حذوه، فالناس كما يقول المؤرخ اليعقوبي (اشبه بزمانه منهم بابائهم... والناس على دين ملوكهم)، وفي رواية عن الطبري كذلك: (ان زياد بن ابيه اول بن سير بين يديه بالحراب ومشي بين يديه بالصمد واتخذ الحرس رابطة خمسمائة... فكانوا لا يبرحون المسجد).

6- تميز العديد من عمال الأمويين وولاتهم بالدهاء والشجاعة والقدرة الادارية وفصاحة اللسان وبلاغته في الخطابة او الكتابة وبالسخاء والكرم، وفي روايات التاريخ العديد من الأحداث من هؤلاء من امثال: المهلب ابن ابي صفرة وابنه يزيد وعمر بن هبيرة وابنه يزيد وزياد بن ابيه وعمرو بن العاص وحوثرة بن سهيل والحجاج بن يوسف الثقفي والنعمان بن بشير وغيرهم كثير. فاذا كان الأمير بدويا امياً ولكن مقدرة ادارية وسياسية جيدة أبقوه في امارته وعينوا له الاعوان الاكفاء من قضاة وعمال كما حدث لحوثرة بن سهيل الذي عين اميرا على مصر وترك الخليفة لأهل مصر حرية اختيار شخص يعينه ويشير عليه في الشريعة والقضاء فاختاروا الليث بن سعد كما يشير الى ذلك الكندي.

وكان الخليفة الأموي في اختياره لولاته وعماله يوازن بين التكتلات القبلية اليمانية والمضرية والربعية موازنة دقيقة مثل معاوية بن ابي سفيان وعبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز، وهشام بن عبد الملك ساعدت الى حد كبير في حفظ التوازن بين تلك التكتلات لاسيما في الأقاليم الحساسة، ولعل اختلال هذا التوازن كان من عوامل سقوط الأمويين.

7 - كان الخليفة الأموي يستعين بفقهاء الاقليم او علماء المصر ويأخذ برأيهم ويشجعهم على الكتابة اليه اذا سمعوا او شاهدوا ظلامة وقمت من عامل او وال. فقد زار الخليفة عمر بن عبد العزيز المدينة واجتمع بعشرة من فقهائها منهم: عروة بن الزبير وسليمان بن يسار وسالم بن عبد الله ابن عمر وخارجة بن زيد وقال لهم : (اني انما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه وتكونون فيه أعوانا على الحق، ما اريد ان اقطع امرا الا برأيكم او برأي من حضر منكم فان رأيتم احدا يتعدى او بلغكم عن عامل لي ظلامة فاحرج الله على من بلغه ذلك الا بلغني)، وبهذا جعل هؤلاء العلماء رقباء على تصرفات العمال وطلب منهم أن يعقدوا مجلس شورى الاقليم يتشاورون فيه قبل أن يكتبوا الى الخليفة.

8- اللامركزية الادارية: فقد اعطت الدولة صلاحيات واسعة للولاة في اقاليمهم يبتون في الامور دون الرجوع للعاصمة.